

١ من دروس العشر: مُرَاقِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَمَامُ الْإِنْقِيَادِ لَهُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى أَيُّهَا النَّاسُ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

عِبَادَ اللَّهِ: أَيَّامٌ مَعْلُومَاتٌ وَمَعْدُودَاتٌ مَضَتْ؛ فِيهَا زَكَاةٌ
لِلنُّفُوسِ؛ وَطَهَارَةٌ لِلْقُلُوبِ، وَرِفْعَةٌ لِلدَّرَجَاتِ، وَتَكْفِيرٌ
لِلسَّيِّئَاتِ؛ أَيَّامٌ مَضَتْ؛ هِيَ خَيْرُ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ وَفِيهَا مِنْ
الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى لَهُ كَبِيرُ الْأَثْرِ فِي حَيَاتِنَا.
دُرُوسٌ فِي الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَنَبْذِ
الشِّرْكَ وَوَسَائِلِهِ، دُرُوسٌ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَحُسْنِ
التَّعَامُلِ، دُرُوسٌ فِي الصَّبْرِ بِأَنْوَاعِهِ.

وَحَدِيثُ الْيَوْمِ — رَحِمَكُمُ اللَّهُ — عَنْ وَاحِدٍ هُوَ مِنْ أَبْرَزِ
وَأَجَلِّ دُرُوسِ تِلْكَ الْأَيَّامِ.

أَلَا وَهُوَ: مُرَاقِبَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَمَامُ الْإِنْقِيَادِ لَهُ جَلًّا
وَعَلَا، وَتَعْظِيمُ أَوَامِرِهِ، وَأَوَامِرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ وَنَوَاهِيهِ، وَالْوَقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ شَرْعِهِ عَزًّا وَجَلًّا.

وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ؛ وَلِهَذَا لَمَّا عَدَّدَ شَيْخُ
الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْأَصُولَ الثَّلَاثَةَ

الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؛ قَالَ: الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الْإِسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالْإِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْحُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ.

عِبَادَ اللَّهِ: يَظْهَرُ هَذَا الْإِنْقِيَادُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ؛ فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ لَمَّا جَاءَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: (إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ، وَارَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ، فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَطْفَارِهِ). لَمَّا جَاءَ الْأَمْرُ؛ جَاءَ مَعَهُ التَّعْظِيمُ وَالْإِمْتِثَالُ، وَتَمَامُ الْإِنْقِيَادِ فَأَمْسَكَ الْمُضَحُّونَ عَنْ ذَلِكَ حَتَّى ضَحَّوْا.

جَاءَ الشَّرْعُ بِتَحْدِيدِ مَا يُضَحَّى بِهِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ فَجَاءَ الْإِلْتِزَامُ بِهَذِهِ الْأَصْنَافِ، وَجَاءَ تَحْدِيدُ السِّنِّ الْمُعْتَبَرِ فِيهَا؛ فَجَاءَ مَعَهُ الْإِلْتِزَامُ بِهَذَا السِّنِّ؛ وَلَوْ كَانَ مَا دُونَهُ أَشْهَى مِنْهُ لَحَمًّا، وَجَاءَ تَحْدِيدُ الْعُيُوبِ الْمَانِعَةِ مِنَ الْإِجْزَاءِ؛ فَرَأَيْتَ النَّاسَ يَتَفَقَّدُونَ أَضَاحِيَهُمْ عِنْدَ شِرَائِهَا وَيَجْتَنِبُونَ مَا كَانَ مِنْهَا مَعِيًّا، وَجَاءَ تَحْدِيدُ وَقْتِ الذَّبْحِ بِدَايَةِ وَنَهَايَةِ؛ فَجَاءَ مَعَهُ الْإِلْتِزَامُ كُلِّ ذَلِكَ.

وَهَكَذَا - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الْحَجِّ؛ جَاءَ الشَّرْعُ بِتَحْدِيدِ مَوَاقِبَتِهِ الزَّمَانِيَّةِ؛ فَالْتِزَامُهَا الْحَاجُّ، وَالْمَكَانِيَّةِ؛ فَالْتِزَامُهَا، وَمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ فَاجْتَنِبَهَا، وَحَدَدَ الشَّرْعِ الْوُقُوفَ بِعَرَفَةَ الْيَوْمَ النَّاسِعَ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ؛ فَالْتِزَامُ الْحُجَّاجِ

الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ، وَهَكَذَا الْمَبِيتَ بِمُزْدَلِفَةَ لَيْلَةَ الْعِيدِ
فَالْتَزَمُوا؛ وَالطَّوَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ، وَالسَّعْيَ سَبْعَةَ،
وَرَمَى الْجَمْرَةَ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ؛ فَالْتَزَمُوا ذَلِكَ؛ زَمَانًا وَمَكَانًا
وَكَيفِيَّةً وَعَدَدًا.

يُؤْمَرُونَ بِالذَّبْحِ لِلَّهِ؛ فَيَذْبَحُونَ لَهُ، يُؤْمَرُونَ بِالْحَلْقِ أَوْ
التَّقْصِيرِ فَيَحْلُقُونَ أَوْ يَقْصِرُونَ، يُؤْمَرُونَ بِالْإِحْرَامِ
فَيُحْرِمُونَ، وَبِالإِحْلَالِ فَيَحْلُقُونَ.

تَعْظِيمًا لِلَّهِ جَلٍّ وَعَلَا وَامْتِنَالًا لِأَمْرِهِ وَوُقُوفًا عِنْدَ حُدُودِهِ.
عِبَادَ اللّهِ: هَذِهِ بَعْضُ مَظَاهِرِ الْإِنْقِيَادِ؛ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

فَلْيَكُنْ هَذَا حَالَنَا طَيِّلَةَ حَيَاتِنَا. لَا تَتَوَانَ يَا عَبْدَ اللّهِ فِي شَيْءٍ
أَمْرَكَ اللّهُ بِهِ، وَلَا تُقَدِّمِ عَلَى شَيْءٍ نَهَاكَ اللّهُ عَنْهُ، اجْتَهِدْ
فِي الطَّاعَاتِ، وَابْتَعِدْ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، احْرُصْ غَايَةَ
حِرْصِكَ أَنْ لَا يَرَاكَ اللّهُ تَعَالَى حَيْثُ نَهَاكَ، أَوْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ
أَمْرَكَ.

جَعَلَنِي اللّهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَمْتَثِلُ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُ نَهْيَهُ وَيُعْظِمُ
شَعَائِرَهُ، وَيَلْتَزِمُ حُدُودَهُ، وَمِمَّنْ يَسْتَمِعُ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُ أَحْسَنَهُ.
بَارَكَ اللّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنَا بِمَا فِيهِ مِنْ
الْأَيِّ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَأَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللّهُ لِي
وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحَمْدُ لِلّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ. أَمَّا بَعْدُ:
فَلْتَكُنْ هَذِهِ الدُّرُوسُ فِي مُرَاقِبَةِ اللّهِ جَلَّ وَعَلَا وَالْوُفُوفِ
عِنْدَ حُدُودِهِ مَنَهَجًا نَسِيرٌ عَلَيْهِ طِبِيلَةُ حَيَاتِنَا.

مَا أَذِنَ الشَّرْعُ لَنَا بِفِعْلِهِ فَلْنَفْعَلْهُ، وَمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ فَلْنَجْتَنِبْهُ:
{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا } الحشر ٧
مَا أَذِنَ الشَّرْعُ لَنَا بِقَوْلِهِ فَلْنَقُلْهُ، وَمَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ فَلْنَكُفَّ
أَلْسِنَتَنَا عَنْهُ: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ
خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

مَا أَذِنَ الشَّرْعُ لَنَا أَنْ نَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ
فَلْنَتَمَتَّعْ بِهِ؛ وَمَا لَمْ يَأْذَنْ فَلَا نَقْرَبْهُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ
إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

مَا أَذِنَ الشَّرْعُ لَنَا أَنْ نَتَمَتَّعَ بِهِ مِنْ نَظَرٍ وَشَهْوَةٍ فَلْنَتَمَتَّعْ بِهِ
؛ وَمَا لَمْ يَأْذَنْ فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ، وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... } النور ٣٠-٣١

مَا أَذِنَ الشَّرْعُ لَنَا بِهِ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ فَلَنْتَعَامَلَ بِهِ؛ وَمَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ فَلَنْتُرْكُهُ: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة ٢٧٥

هَذَا - عِبَادَ اللَّهِ - مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُ طِيبَةَ عُمْرِهِ؛ { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } النور ٥١-٥٢

عِبَادَ اللَّهِ: وَتَلَكُنْ هَذِهِ الدُّرُوسُ فِي مُرَاقِبَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَتَعْظِيمِ أَوْامِرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ مَنْهَجًا تُرَبِّي عَلَيْهِ أَبْنَاءَنَا وَمَنْ تَحْتَ رِعَايَتِنَا؛ فَمَنْ تَرَبَّى عَلَى مُرَاقِبَةِ اللَّهِ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ؛ وَأَنَّهُ: { يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } الأنعام ٥٩

مَنْ تَرَبَّى عَلَى هَذَا؛ فَعَلَّ مَا يَفْعَلُ إِرْضَاءً لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَابْتِغَاءً لِنَوَابِهِ؛ وَتَرَكَ مَا يَتْرُكُ إِرْضَاءً لِلَّهِ وَخَشِيَّةً لِعِقَابِهِ. مَنْ تَرَبَّى عَلَى هَذَا، وَتَهَيَّأَتْ لَهُ الْمَعْصِيَةُ يَوْمًا، وَتَمَكَّنَ مِنْهَا، وَغَابَ عَنِ أَنْظَارِ الْبَشَرِ؛ عِنْدَ ذَلِكَ سَيَرُدُّعُهُ خَوْفُ اللَّهِ وَرَجَاؤُهُ، وَعِلْمُهُ بِإِطْلَاعِ اللَّهِ عَلَى كُلِّ أَحْوَالِهِ.

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ.
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ يُعْفِلُ مَا مَضَى ... وَلَا أَنْ مَا يُخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ.
ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللّٰهُ - عَلَى مَنْ أَمَرَكَمُ اللّٰهُ
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: { إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا } الأحزاب ٥٦

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،
وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.
اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ وَاَنْصُرْ عِبَادَكَ
الْمُؤَحِّدِينَ، اللَّهُمَّ وَعَلَيْكَ بِأَعْدَانِكَ يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ.
اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَمْنَتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلَاةَ أَمْرِنَا لِمَا
نُحِبُّ وَتَرْضَى، اللَّهُمَّ خُذْ بِنَوَاصِيهِمْ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، اللَّهُمَّ
وَفِّقْنَا وَإِيَاهُمْ لِهَذَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَنَا فِي رِضَاكَ، اللَّهُمَّ مَنْ
أَرَادَنَا وَدِينَنَا وَبِلَادَنَا بِسُوءٍ فَرُدَّ كَيْدَهُ إِلَيْهِ، وَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ
تَدْمِيرًا عَلَيْهِ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ.

عِبَادَ اللّٰهِ: اذْكُرُوا اللّٰهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى
نِعْمِهِ يَزِدْكُمْ وَلْيَذْكُرِ اللّٰهُ أَكْبَرُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.